مقال رأي

مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Studies and Planning

تكسير وتجميع القواعد الانتخابية
تكتيكات أخرى لتفكيك الكتل التصويتية للمنافسين

د. عبد العزيز عليوي العيساوي

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Studies and Planning

تكسير وتجميع القواعد الانتخابية.. تكتيكات أخرى لتفكيك الكتل التصويتية للمنافسين

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط /قسم الأبحاث / الدراسات السياسية

الاصدار / مقال رأي

الموضوع / الانتخابات

د.عبد العزيز عليوي العيساوي / أكاديمي متخصص في الشؤون الانتخابية

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌ، غيرُ ربحيٍّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عملية جليّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنّما تعبّر عن رأي كتابِها.

حقوق النشر محفوظة © 2024

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org
Since 2014

مقدمة

تتبع الأحزاب المتنافسة في الانتخابات أساليب متعددة لتحقيق الكسب الانتخابي وضمان الوصول إلى المجالس التشريعية أو المحلية، ضمن إطار التنافس الذي تكفله التجارب الديمقراطية. وتزداد حدة هذا التنافس كلما اقترب موعد الانتخابات، كما تتنوع أساليبه وتختلف من دولة إلى أخرى. ويعتمد الأسلوب المتبع في التباري الانتخابي على طبيعة الأحزاب والكيانات المشاركة في العمليات الانتخابية، إذ يكون تقليدياً إذا كانت هناك فجوة كبيرة بين الأحزاب التي اعتادت الفوز وغيرها من القوى السياسية، لكنه يصبح أكثر تعقيداً في حال تقاربت الأحزاب المتنافسة فيما بينها من حيث القوة والتأثير واحتمالات الفوز.

ويُعد التكسير والتجميع لقواعد المنافسين الانتخابية من الأساليب التي تمثل مؤشراً على احتدام التنافس ووصوله إلى مرحلة الذروة، حيث يتولى التكسير مهمة تشتيت الأصوات في مناطق الأحزاب والمرشحين الأقوياء بهدف تقليل حظوظهم في الفوز، بينما يؤدي التجميع إلى تركيز أصوات القواعد الجماهيرية وتوجيهها نحو حزب معين أو مرشح محدد بهدف كسب السباق الانتخابي.

أولاً: تكسير وتجميع القواعد الانتخابية

لا تكتفي بعض الأحزاب بالدعاية الانتخابية لمرشحيها التي توفر لهم فرصاً أفضل للفوز، بل تندفع أحياناً نحو ساحات المنافسين من أجل السيطرة عليها وتشتيت قواعدهم الجماهيرية، مما يؤدي إلى اتباع أسلوب التكسير الذي يقضي على هذه القواعد ويفككها. هذا الأسلوب يحرم الأحزاب التي تخوض السباق في نفس الدائرة الانتخابية من تشكيل كتلة تصويتية مناسبة تساعد الحزب أو المرشح على تجاوز العتبة الانتخابية أو المعادلات التي تفرضها بعض آليات الانتخاب، مثل آلية سانت ليغو المتبعة في نظام التمثيل النسبي، أو غيرها من الآليات. وبالتالي، فإن تفكيك القوة التصويتية للتجمعات الانتخابية المتشابهة يؤدي إلى حرمان مرشحيها من الحصول على الأصوات الكافية للفوز.

على النقيض من ذلك، تلجأ بعض الأحزاب إلى اتباع أسلوب آخر يتناقض تماماً مع التكسير، وهو تجميع القواعد الانتخابية، وذلك عن طريق توحيد جماهير الحزب المتوزعين في شمال وجنوب وغرب وشرق ووسط المحافظة مثلاً، ضمن توجه تصويتي واحد يصب في صالح مرشحيها. ذلك لأن تركيز الجماعات المتشابهة من حيث السلوك الانتخابي في مناطق محددة يسهل فوز بعض المرشحين الذين يتناغمون مع هذا السلوك.

وتذهب بعض الأحزاب إلى أبعد من ذلك حين تستخدم التكسير والتجميع في آن واحد، ويتم ذلك بأن يقوم حزب محدد ليس له ثقل في محافظة أو منطقة معينة باستخدام الأسلوبين معاً من أجل إضعاف حزب آخر، والهدف من ذلك هو تقديم خدمة لحزب ثالث حليف للحزب الأول في هذه المنطقة. بالمقابل، يقوم الحزب الثالث بتقديم خدمة مماثلة للحزب الأول في منطقة أخرى.

ويوضح الجدول الآتي آليات وأهداف الأساليب الثلاثة المذكورة أعلاه:

الأسلوب	الآلية	الهدف
التكسير	تشتيت القواعد الانتخابية للمنافسين	حرمان المنافسين من الفوز
التجميع	توحيد شتات جماهير الحزب	فوز الحزب في الانتخابات
التكسير والتجميع في آن واحد	إرباك جمهور حزب آخر	خدمة حزب ثالث

من إعداد الباحث

ثانياً: أمثلة عالمية على التكسير والتجميع

على الرغم من تصنيف الولايات المتحدة الأمريكية ضمن الديمقراطيات الراسخة، إلا أنها تعد من أوائل الدول التي استخدمت أسلوب التكسير والتجميع لقواعد الخصوم الانتخابية.

وقد مورست أساليب التكسير والتجميع ضد الأقليات في الولايات المتحدة الأمريكية بهدف حرمانها من تشكيل قوة تصويتية تساعدها على تمكين ممثلين حقيقيين عنها، قبل أن يحظر الدستور الأمريكي قبل أكثر من 100 عام مثل هذه الممارسات. وكانت هذه الأساليب تصنف ضمن المناورات الانتخابية التي تعتمد تقسيم الأقليات على دوائر صغيرة متناثرة، مما يؤدي إلى عدم تركزها في منطقة محددة أو مناطق متقاربة، وبالتالي عدم دعم مرشحين معينين. كذلك يتم اتباع أسلوب التجميع أحياناً، حيث يتم دفع عدد كبير من الأقليات نحو عدد محدود من الدوائر الصغيرة التي تضم مرشحين أقوياء من الأحزاب المتنفذة، مما يؤدي إلى هدر كبير في أصوات الأقليات. ونتيجة لتصاعد الاعتراضات على هذه الأساليب وغيرها من ممارسات تقييد العدالة الانتخابية في الولايات المتحدة الأمريكية، صدر قانون حق التصويت عام 1965، الذي تضمن فقرات منعت أساليب حرمان الأقليات من حق التصويت المنتج، بما في ذلك أساليب التكسير والتجميع.[1]

وأصبح التلاعب بالقواعد الجماهيرية في الولايات المتحدة الأمريكية أكثر سهولة في ظل التقدم التكنولوجي الهائل الذي يشهده العالم، إذ تتيح خوارزميات الحواسيب بيانات دقيقة عن الناخبين وتوجهاتهم وأماكن تواجدهم، مما يسهل عملية التلاعب باتجاه أصواتهم. فبينما كان المهتمون بهذه الأساليب يعتمدون سابقاً على خرائط مصنوعة يدوياً، والتي تحتمل نسبة كبيرة من الخطأ، أصبح بإمكانهم اليوم الحصول على خرائط دقيقة بضغطة زر واحدة بالاعتماد على الخوارزميات والذكاء الاصطناعي.

1. Guide to Drawing the Electoral Lines, 2020
https://redistricting.lls.edu/redistricting

وغالباً ما تستهدف مثل هذه الحملات الأمريكيين من اللاتينيين والآسيويين والسود، الذين يتوزعون في ولايات وضواحي مختلفة، بعد أن كانوا يتركزون في مناطق محددة في حقبة الفصل العنصري. هذا التغير في أماكن انتشارهم دفع نحو تكسير تجمعاتهم الانتخابية في المناطق التي تشهد تحالفات متعددة الأعراق مثل هيوستن ودالاس وأتلانتا، بهدف تشتيتهم وحرمانهم من الجدوى السياسية التي يمكن أن تتحقق من أصواتهم مجتمعة. كل ذلك يحدث لأن هذه التجمعات أصبحت هدفاً رئيسياً للتفكيك من قبل الأحزاب التي تضع خطط التكسير.[2]

وعلى الرغم من ظهور التلاعب بالقواعد الجماهيرية للناخبين في الولايات المتحدة الأمريكية، إلا أن هذه الظاهرة لا تقتصر عليها فقط، ففي ألمانيا، على سبيل المثال، يوجد تلاعب مماثل بالقوة التصويتية للناخبين من خلال اتباع طرق مبتكرة تم تضمينها في قانون الانتخابات، خصوصاً الجزء المتعلق بالتمثيل النسبي، والذي يتحكم بحدود الدوائر الانتخابية بطريقة تقيد خيارات ناخبين محددين وتقلل فرص فوز مرشحيهم، مقابل تضخم فرص فوز مرشحين حصلوا على أصوات فئات أخرى من الناخبين.[3]

إن نسبية اعتماد أساليب تكسير وتجميع القواعد والدوائر الانتخابية تجعل من الصعب وجود إحصائيات دقيقة توضح جميع الدول التي استخدمتها، لكن بالمجمل يمكن القول إنها نشأت وما زالت تنمو وتتطور في الولايات المتحدة الأمريكية، قبل أن تنتقل إلى دول عديدة أخرى استخدمت فيها بنسب متفاوتة.

2. Julia Kirschenbaum andMichael Li, Gerrymandering Explained, Brennan Center for Justice, June, 2023.

3. التلاعب في الدوائر الانتخابية، موقع فاستر كابيتال، ايار 2025، على الرابط: https://fastercapital.com/ar

ثالثاً: التكسير والتجميع في التجربة العراقية

مورس أسلوبا التكسير والتجميع في القواعد الانتخابية على نطاق محدود في التجارب الانتخابية التي سبقت انتخابات 2021، التي شهدت اتساعاً في اتباع هذا الأسلوب بالاستفادة من طبيعة النظام الانتخابي الذي طُبّق في تلك الانتخابات، والذي ساعد بشكل كبير على اعتماد هذه الطريقة في التنافس الانتخابي في بعض الدوائر.

لا يوجد ما يثبت وجود ارتباط مباشر بين أسلوبي التكسير والتجميع للناخبين وطبيعة الدوائر الانتخابية، إذ تم تطبيق هذه الطرق في دول تتبع نظام الأغلبية، وكذلك في دول تعتمد نظم التمثيل النسبي، وأيضاً في دول تتبع النظام الانتخابي المختلط الذي يمزج بين الأغلبية والتمثيل النسبي. لكن الأمر مختلف في التجربة العراقية، حيث لم يكن هذا الأسلوب واضحاً في التجارب الانتخابية بين 2005 و2018، وإن كان قد مورس أحياناً. أما انتخابات مجلس النواب عام 2021، فقد شهدت تطبيقاً واضحاً لهذه الاستراتيجية في بعض المحافظات، مما دفع للاعتقاد بأنها قد تنمو أكثر في ظل وجود بيئة تعتمد الدوائر الانتخابية المتعددة. وشهد تقسيم الدوائر الانتخابية في تلك الانتخابات حالة غريبة تمثلت في تقسيم الدوائر داخل المحافظات على أسس غير جغرافية، مما أدى إلى إفراغ بعض الدوائر من محتواها الانتخابي. ويُعزى ذلك إلى التفاهمات التي جرت خلال تعديل قانون الانتخابات. وتكمن الغرابة في اقتطاع أجزاء صغيرة من غرب محافظة محددة وربطها بأجزاء أخرى صغيرة أيضاً في شرقها، مما أدى إلى:

1- ظهور دوائر انتخابية غير متماسكة من الناحية الجغرافية.

2- عدم معرفة الناخبين بالمرشحين الذين يسكنون في مناطق بعيدة عنهم.

3- تشتيت القواعد الجماهيرية لبعض المرشحين.

4- منع الجماعات الصغيرة من الاجتماع على دعم مرشح محدد من خارج القوى الكبيرة.

5- حدوث خلل في تمثيل بعض المناطق التي عانت من تشتيت قواعدها الجماهيرية.

رابعاً: احتمالات التكسير والتجميع في الانتخابات المقبلة

لم تتمكن الدول، حتى تلك التي تصنف ضمن الديمقراطيات الراسخة، من وضع حد نهائي لحالات التكسير والتجميع للقواعد الجماهيرية للأحزاب والمرشحين. كما أن القوانين الانتخابية أخفقت في القضاء على هذه الأساليب التي لا تعتمد نمطاً واحداً في جميع الدول، بل توجد أينما وُجدت ثغرات في القواعد الجماهيرية يمكن النفاذ منها من قبل الأحزاب التي اعتادت المشاركة في الانتخابات والفوز فيها. وفي ظل وجود خشية من احتمال تكرارها في الانتخابات العراقية المقبلة، تطرح هذه الورقة الاحتمالات الآتية:

الأول: تكسير القواعد الانتخابية

لم يعد خافياً على أحد وجود محاولات استباقية تقوم بها بعض الأحزاب لتشتيت جماهير الأحزاب والشخصيات المنافسة. وتعد انسحابات بعض المرشحين من أحزاب محددة وانضمامهم إلى أخرى من أبرز الإشارات على اتباع هذا الأسلوب من أجل تفكيك القواعد الانتخابية للمنافسين. كما أن حالات تعدد المرشحين في منطقة جغرافية صغيرة أو ضمن عشيرة محدودة تمثل جزءاً من خطط ترمي إلى تحقيق هدفين: الأول تشتيت الأصوات والدفع باتجاه عدم فوز أي مرشح من المنطقة أو العشيرة، والآخر يتمثل في استفادة القائمة الانتخابية للحزب من الأصوات التي تأتي من هذه المناطق حتى وإن لم يفز أي من مرشحيها.

الثاني: تجميع القواعد الانتخابية

يركز هذا الاحتمال على الجهود التي تقوم بها الأحزاب لتعبئة جماهيرها المتناثرة ضمن الدائرة الانتخابية وتوجيهها نحو انتخاب شخصية محددة. وهذا الاحتمال وارد أيضاً في ظل وجود شخصيات بارزة معروفة على المستوى الوطني يمكنها التأثير في قواعدها الانتخابية وإقناعها بالمشاركة عن طريق طرح عدد من القضايا التي تعنيهم، ووضع المعالجات المناسبة لها بالاستفادة من خبرات الحزب السابقة. وغالباً ما تركز هذه القضايا على موضوعات محددة تهتم بها جماعات متفرقة في الدائرة الانتخابية، مما يسهل على الحزب تجميعها في حال اقتنعوا بأنه قادر على تبني هذه الموضوعات ثم معالجتها.

الثالث: غياب التكسير والتجميع

على الرغم من صعوبة تحقق هذا الاحتمال في الانتخابات المقبلة، إلا أنه يبقى قائماً في حال اقتنعت الأحزاب المتنافسة بعدم جدواه، واتجهت نحو اتباع أساليب أخرى للتنافس الانتخابي وفقاً للخبرات والأدوات المتوفرة لديها.

الخاتمة

لا تكاد تخلو أي انتخابات من منافسة قائمة على اتباع الحزب لتكتيكات تزيد من حظوظ مرشحيه وتضعف فرص منافسيه، ومن بين هذه التكتيكات تشتيت القواعد الانتخابية للمرشحين الآخرين. ومن هذا المنطلق، ترجح هذه الورقة الاحتمال الأول الذي يتجه نحو قيام بعض الأحزاب بالعمل على تكسير قواعد الجمهور المنافس الذي يحمل تفكيراً متقارباً، عن طريق زج أكثر من مرشح في منطقة صغيرة أو داخل عشيرة واحدة، لضمان عدم فوز أي من مرشحي المنطقة أو العشيرة، نتيجة وجود تصور مسبق يشير إلى أن المنطقة أو العشيرة المستهدفة غير مسجلة ضمن القواعد الانتخابية الثابتة للحزب. وهذا الأسلوب يحقق غايتين، أولاهما عدم فوز مرشح غير مضمون الانتماء، وأخرى هي استفادة قائمة الحزب من الأصوات التي ستُمنح للمرشحين الخاسرين في هذه المناطق، لأن نظام التمثيل النسبي بآلية سانت ليغو المعدل، الذي سيُطبق في الانتخابات المقبلة، يقوم على أساس جمع كل الأصوات التي تحصل عليها القائمة في الدائرة الانتخابية وتحويلها إلى مقاعد تُمنح لأعلى المرشحين داخل القائمة.

لِدولةٍ فاعلةٍ ومجتمعٍ مُشارِك

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org